مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

دلالة الفن الإسلامي" قراءة في سيميولوجيا السجاد الإسلامي "

د. عادل قايد ، جامعة تيارت، الجزائر

د. عبيدة صبطي، جامعة بسكرة، الجزائر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دلالة الفن الإسلامي" قراءة في سيميولوجيا السجاد الإسلامي "

د. عادل قايد / د. عبيدة صبطي

الملخص:

الفنون الإسلامية هي الفنون التي نشأت وازدهرت في البلاد التي اتخذ أهلها الإسلام دينا، أو غالبية سكان هذه الدول على الأقل، وقد انتشر هذا الفن الإسلامي في المنطقة التي تمتد من الهند شرقا حتى المغرب والأندلس غربا، ومن آسيا الصغرى (تركيا) شمالا حتى السودان جنوبا. فمنذ فجر التاريخ عرف الإنسان الفن، يترنم به غناء فيخفف عنه عناء الجهد في العمل، يرسله قويا عنيفا فيهز به كيان العدو في حلبة النضال، ويهرع إليه فيبثه لوعة الحب، وأسوة المحبوب، ويسكن إليه وثنا أو صورة يناجي من خلالها مبدع الأكوان. وعليه تنصب دراستنا في محاولة التعرف على مفهوم الفن الإسلامي وخصائصه و كذا كيفية قراءة السجاد الإسلامي ؟

الكلمات المفتاحية: الفن الاسلامي، سيميولوجيا، السجاد الاسلامي.

Résumé:

L'Arts islamiques sont les arts qui a pris naissance et ont prospéré dans un pays qui a pris sa famille l'islam comme une religion, ou la majorité de la population de ces pays, au moins, est propagé cet art islamique dans la région, qui va de l'Inde à l'est au Maroc et Al-Andalus à l'ouest, et de l'Asie Mineure (Turquie) dans le nord au Soudan dans le sud. Depuis l'aube de l'histoire connue l'art humain, chante son chant lui facilite la peine de l'effort dans le travail, envoie un demandeur violente forte. Par entité ennemie dans l'arène de la lutte, et se dépêche de lui Vibuth l'angoisse de l'amour, comme le bien-aimé, et l'apaise une idole ou une image de converser à travers lequel l'accent Alokoan.uallah emblématique Notre étude dans le but d'identifier le concept de l'art islamique et de ses propriétés et ainsi que la façon de lire le tapis islamique?

Mots clés: L'Art islamique, Le tapis islamique.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

تعد الحضارة العربية الإسلامية من أبرز الحضارات في تاريخ البشرية التي اتسمت بالإنسانية فكان عطاؤها في كل ميادين الفنون على اختلاف فروعها مما أفاد الغرب لاحقا، تفاعلت هذه الحضارة مع المعطيات الحضارية الأخرى فدرسها العرب بعلمية ومع الزمن كان لهم دورهم المبتكر وذو الطابع المميز في الفنون.

فالفنون الإسلامية هي الفنون التي نشأت وازدهرت في البلاد التي اتخذ أهلها الإسلام دينا، أو غالبية سكان هذه الدول على الأقل، وقد انتشر هذا الفن الإسلامي في المنطقة التي تمتد من الهند شرقا حتى المغرب والأندلس غربا، ومن آسيا الصغرى (تركيا) شمالا حتى السودان جنوبا، حيث أنه توجد أمم كالملايو (ماليزيا) واندونيسيا يدين سكانها بالإسلام ولا يعتبر فنون أهلها من الفنون الإسلامية.

فمنذ فجر التاريخ عرف الإنسان الفن، يترنم به غناء فيخفف عنه عناء الجهد في العمل، يرسله قويا عنيفا فيهز به كيان العدو في حلبة النضال، ويهرع إليه فيبثه لوعة الحب، وأسوة المحبوب، ويسكن إليه وثنا أو صورة يناجي من خلالها مبدع الأكوان.

ليس الفن إذن لهو أو لعبا عابثا-كما توهم بعض المفكرين-ولكنه مفجر الطاقة الحيوية الخلاقة، والباعث على العمل والتقدم، بل هو مبدأ الحياة، وسر تفتحها.

والطبيعة البكر بما تبديه من آيات الفن العبقري أليست تحمل معاني الإغراء في التجمعات الحيوية فتنشأ الجماعات وتزدهر هي الأخرى معاني الإغراء في التجمعات الحيوية فتنشا الجماعات وتزدهر الحضارات حول أنهار رقراقة وبحيرات يتغضن لجنينها في حيوية وانتشاء حينما يستجيب لداعي النسمات العابرة، وغابات تكتسي بالخضرة اليانعة وينعم تحت ظلالها.

وإذا كان الفن يرتبط بمبدأ الحياة، فإنه كذلك يصاحب موكبها عبر الزمان فيفترق مع الغابة القصوى التي يستهدفها الإنسان في حياته، ألا وهي السعادة، فإنه لما كانت السعادة غاية الحي الناطق. أصبح كل ما يهيئ لنا تواجدها، ويجعلنا نقترب منها بوثيق الارتباط بها، وليس كالفن قرينا للغبطة وتحقيق السعادة لبني البشر. فالفنون الجميلة تجعل للحياة معنى بل تشعرنا بدبيب الحياة وتنوعها وخصب روائها فتكسر النطاق الرتيب الذي نصبح ونمسي تحت وطأته مستبعدين للآلة ولعجلة الإنتاج.

وعليه تنصب دراستنا في محاولة التعرف على مفهوم الفن الإسلامي وخصائصه و كذا كيفية قراءة السجاد الإسلامي ؟

1.مفهوم السيميولوجيا

لقد تناول الباحثون المختصون مفهوم السيميولوجيا حسب نظريات متفقة أو مختلفة، وحسب مجالات متنوعة، كما تناولوا كل مكوناتها وعناصرها وقد كتبت مقالات في هذا الشأن، وألفت كتب وعقدت ندوات، بيد أن القارئ المبتدئ أو العادي الذي قد يكون في عجلة يخرج مضبب الرؤى لا تتضح أمامه مظاهر الاشتراك والافتراق بين تلك النظريات والمجالات، وخاصة الطالب العربي يواجه الكثير من الصعوبات، حينما يدرس السيميولوجيا ويحاول أن يستوعبها ويتمثلها ليجتهد فيها.

1.1 التعريف اللغوي للسيميولوجيا

إن كلمة سيميولوجيا (Sémiologie) من الأصل اليوناني (Sémion) أو (Sémaino) والمتولدة هي الأخرى من الكلمة (Séma) وتعني **العلامة (الدليل)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(signe) وهي بالأساس الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل(Sens) أي **المعنى**.أما عن لفظة "لوجيا" (logie) فتعني **العلم**، وبالتالي فإن **كلمة السيميولوجيا أو السميوطيقا من الناحية اللغوية تعني علم العلامات**[1] أو العلم الذي يقوم بتحليل المعاني عن طريق **العلامات**.

2.1 التعريف الاصطلاحي السيميولوجيا

إن السيميولوجيا لدى دارسيها تعني "علم دراسة العلامات دراسة منظمة و منتظمة"[2] ، فهي تدرس مسيرة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية و قوانينها التي تحكمها "[3] مثل أساليب التحية عند مختلف الشعوب وعادات الأكل والشرب واللباس والأفرشة والأثاث عندهم...الخ.

وبالتالي فالهدف من دراسة السيميولوجيا هو دراسة المعنى الظاهر و الخفي لكل نظام علاماتي فهي تدرس لغة الإنسان اللفظية و غير اللفظية و ما يحيط به باعتبارها نسق من العلامات مثل: العلامات التجارية وإشارات المرور والخرائط والصور الفوتوغرافية...الخ.

واستنادا إلى ما سبق، نستخلص بأن الموضوع الرئيس للسيميولوجيا حسب "بيرس" هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السيميولوجي السميوز (Sémiosis). والسميوز في التصور الدلالي الغربي هي **"الفعل"** المؤدي إلى عملية إنتاج الدلالات وتداولها، أي سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة، وبهذا فإن كل واقعة تستند من أجل إنتاج دلالاتها، إلى سيرورة داخلية تجمع بين العناصر المكونة لها[4] .

2.مفهوم الفن الإسلامي

إن وجود الفن يرتبط دائما بالظروف الاجتماعية، ويتطور وفقا لقوانينه، ويؤكد التاريخ الاجتماعي للفن أن الأشكال الفنية لا تنشأ عن وعي فردي فقط، وإنما أيضا تعبير عن نظرة يحددها المجتمع تجاه العالم، وهكذا يخضع الفن لأيديولوجيات خاصة، تقدم على أسس ينشأ فيها، وهو كبنية ثقافية كان بمثابة وسيلة حيوية للسيطرة على الطبيعة، ولتنظيم المجتمع والتأثير الثقافي والفكري للفن يتضح في إمكانية تجسيد الفن لأفكار محددة أخلاقية أو فلسفية أو دينية مرتبطة بالحياة الواقعية، والحاجات العملية لفئات اجتماعية معينة، والفن ذاته هو مرآة للثقافة، ويظهر ذلك من خلال الحضارات المختلفة من آثار وفنون تشير إلى معرفة وثقافة الإنسان عبر التاريخ[5] .

فالفن لغة قابلة للفهم والاتصال، تخلق صورا مركبة عن المحيط الاجتماعي، زمنيا وتزامنياً، وتختزل الخبر والتجارب المتراكمة داخليا، لتحدثنا عن الإنسان التقليدي، عن محيطه الطبيعي والاجتماعي، عن حياته وعن ثقافته، عن تراثه، عن علاقاته الاجتماعية.وبذلك يكشف الفن أيضا عن

---

[1] **برنار توسان: ما هي السيميولوجيا**، ترجمة محمد نظيف، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، إفريقيا الشرق، 2000، **ص.9**.

[2] **الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي**، الطبعة الثالثة، بيروت، المركز الثقافي العربي، دون سنة، **ص. 177**.

[3] **برنار توسان:مرجع سبق ذكره،ص.9**.

[4] سعيد بنكراد: **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، المغرب، الدار البيضاء، 2003، ص.171.

[5] محمد حسن عطية: **الفن والحياة الاجتماعية**، ط2، مصر، دار المعارف،1997، ص 13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طبيعة الأفراد وقواعد سلوكهم وأنماط حياتهم العملية والفكرية والشعورية [6].

فمن الصعوبة مما كان تحديد مفهوم الفن تحديدا دقيقا، ويرجع ذلك لطبيعة الفن في حد ذاتها، فهو ليس من العلوم المضبوطة كالفيزياء والرياضيات والكيمياء، فهي علوم تتفق على دقة معاييرها هذه الأخيرة تأخذ شكل حقائق لها صفات ثابتة وعامة، مما يضفي عليها صلابة وقوة، ويعرف فرينفلس في كتابه (سيكولوجيا الفن): إن لفظة الفن هي من الألفاظ التي تطلق على شتى ضروب النشاط أو الإنتاج، والذي يجوز أو ينبغي أحيانا أن تتولد منها آثار جمالية[7].

والفن الإسلامي هو أحد أرقى الفنون، وأهم هذه الفنون، فهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة، وقد عبر القرآن الكريم عن الجمال والفن بعدة صيغ منها الزينة وزين وجميل وحسن وربط كل صيغة بموضوع وحقيقة كونية في قوله تعالى (إن جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوّهم أيّهم أحسن عملا) [سورة الكهف، الأية7].

والحق أن الفن الإسلامي هو ذلك الفن الذي نشأ وتطور وظهر وازدهر وبلغ الغاية في دار الإسلام بين القرنين (1-12هـ/7-18م) ولذلك فإننا إذا استثنينا الفن الصيني، فإن الفن الإسلامي يعد من أوسع الفنون العالمية انتشارا وأطولها عمرا، حيث أشرق نور ميلاده في الحجاز خلال خلافة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- وبدأ مرحلة الشباب في العراق في ظل الخلافة العباسية وتجلت رجولته ونضجه في مواطن ثلاث:

مصر خلال العصر الفاطمي، فالأيوبي والمغرب والأندلس خلال عصر الخلافة وملوك الطوائف بالأندلس، والمرابطين والموحدين بالمغرب، والمشرق الإسلامي من خلال العصر السلجوقي، وعهود الأتابكة والبكاوات، وواصل الفن الإسلامي مرحلة النضج حتى بلغ الغاية بين القرنين (8-12هـ) وذلك خلال العصر المملوكي في مصر والشام، وعصر دولة بني نصر في غرناطة بالأندلس والتيموريين في آسيا الوسطى، والصفويين في إيران والعثمانيين في الأناضول والعصر المغولي الهندي في شبه القارة الهندية[8].

3.خصائص الفن الإسلامي

هناك مجموعة من الخصائص التي يتميز بها الفن الإسلامي يمكن ذكرها في النقاط التالية:

1. الفن الإسلامي يقوم على أساس عقيدة التوحيد، وعلى تصور شامل للإنسان والكون والحياة، ولذا لا نجد الخرافات والأباطيل والأساطير موقع في الفن الإسلامي عكس ما نجده في الحضارات الوثنية والإغريقية.

2. الفن الإسلامي ميدانه ومجاله التحسينات-أي الكماليات- وليس الضروريات أو الحاجيات.

3. وظيفته هي صنع الجمال، وهو وسيلة لا غاية فليس الفن للفن، وإنما الفن في خدمة المجتمع.

4. للفن الإسلامي شخصية مستقلة فهو ليس فرعا من الفلسفة وليس مهمته البحث عن الحقيقة، وإن كان الفنان يحتاج إلى العلم وقد يكتشف بعض الحقائق أحيانا.

---

[6] إبراهيم الحيدري: **اثنولوجية الفنون التقليدية**، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1984، ص.51.

[7] كامل محمد عويضة: **مقدمة في علم الفن والجمال**، لبنان، دار الكتب العلمية، 1990، ص ص 19-20.

[8] حمزة إسماعيل الحداد: **المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية**، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2006، ص 606.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. الفن الإسلامي هو لقاء بين إبداع الموهبة ونتاج العبقرية، وبين دقة الصنعة ومهارة التنفيذ[9].

6. يمتاز بكونه زخرفيا استمد عناصره النباتية والهندسية والآدمية والحيوانية، وجعلها محورة عن الطبيعة، إلى جانب خلوه من وجود تماثيل أو لوحات مستقلة نظرا لما شاع عن كراهية تصوير الكائنات الحية في الإسلام.

7. كراهية الفراغ أو الخوف منه، ومعناها أن الفنان المسلم كان يشغل كل المساحات التي أمامه بالزخرفة دون أن يترك منها أي جزء بدون زخرفة مما دفعه إلى التكرار سواء بالنسبة إلى الوحدة الزخرفية أو الموضوع الزخرفي.

8. استخدام الكتابة العربية كعنصر زخرفي سواء بالخط النسخي أو الكوفي...الخ [10].

4.قراءة سيميولوجية للسجاد الإسلامي

1.4 نشأة وتطور السجاد

تقول المصادر التاريخية أن المصريين القدماء توصلوا في عام (2400) قبل الميلاد إلى صناعة أنوال السجاد ونسجوا عليها حصرا من نبات البردي حيث كانت تضطرهم الحاجة إلى تغطية أرض معابدهم .يدلنا على ذالك ما وجد محفورا على المقابر المصرية القديمة ويمثل نساء ينسجن السجاد على أنوال شبيهة إلى حد كبير بالأنوال الموجودة في الشرق في الوقت الحاضر [11].

ومن خلال ما نراه في الصور الجدارية المصرية، نستطيع القول أن المصريين القدماء كانوا قد عرفوا صناعة السجاد. وليس من وثائق حتى الآن تثبت أن الرافديين كانوا قد مارسوا هذه الصناعة. ولكن انتشارها فيما بعد يؤكد أن للسجاد تقاليد قديمة في منطقة ما بين النهرين وسورية.

ودليل آخر على ذلك ان جلود الخراف كانت الرداء الأساسي لسكان بلاد الرافدين وخاصة الأكاديين، وهو الرداء المسمى "كوناكس" والذي يرى أليفا في التماثيل والرسوم التي عثر عليها في لا غاش و سوزا في العراق، وفي مارى في سورية. وهذا يعني أن صناعة ما مقلده لشكل جلود الخراف. كانت قد ظهرت سواء كلباس أو كبساط. هي صناعة النسيج المعقود ذي الشعر الطويل وهو أساس صناعة السجاد[12].

وكذالك عثر على جداريات رخامية في قصر سنحاريب في مدينة نينوى بالعراق والذي عاش بين (705-681) قبل الميلاد، تظهر فيها تصاميم لسجاد، وكذلك الحال في قصر أشور بانيبال مؤسس المملكة الفارسية القديمة مفروشة بسجادة بابلية رائعة. كما تذكر القصص أنهم حملوا (كليوباترا) ملفوفة بسجادة نفيسة في حضور القصير[13].

ودليل آخر على ذلك ان جلود الخراف كانت الرداء الأساسي لسكان بلاد الرافدين وخاصة الأكاديين، وهو الرداء المسمى "كوناكس" والذي يرى أليفا في التماثيل والرسوم التي عثر عليها في لا غاش و سوزا في العراق، وفي مارى في سورية. وهذا يعني أن صناعة ما مقلده لشكل جلود الخراف. كانت قد ظهرت سواء كلباس أو كبساط. هي صناعة النسيج المعقود ذي الشعر الطويل وهو أساس صناعة السجاد.
على أن الثابت أن صناعة السجاد كانت موجودة في

---

[9] إسماعيل سامعي: **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، مدخل، نظم، علم، زراعة، صناعة اجتماعيات، عمارة، فنون، تأثيرات، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،2007، ص ص 364-365.

[10] محمد حمزة إسماعيل حداد: مرجع سبق ذكره، ص ص 607-608.

[11] راتب مزيد الغوثاني: **رؤية جديدة للفن العربي الإسلامي**، سورية مجلة القافلة، شركة أرامكو، السعودية، العدد الثالث،1993، المجلد الثاني والأربعون، ص ص36-40.

[12] عفيف بهنسي: **جمالية الفن العربي**، عالم المعرفة، الكويت، العدد 14، 1979، ص ص 166-165.

[13] راتب مزيد الغوثاني: مرجع سبق ذكره، ص ص36-40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورية منذ القرن الأول الميلادي في دورا أوروبوس وفي تدمر.

وتدل الدراسة التي قدمها بفيستر على ذلك. كما أن الحفريات التي تمت عام (1899) في دير الديك وفي داميت في مصر قد أدت إلى العثور على بعض القطع وجدت في مدفن اخميم تدل على وجود صناعة البسط منذ العهد القبطي، وهذا لا يمنع من تصور وجودها منذ ما قبل العهد المسيحي أيضا. كما يقول غاية[14].

ومن أمثلة هذه البسط قطعة صنعت في جنوبي مصر وترجع إلى القرن الرابع الميلادي كان قد عثر عليها في قبر ملكي اثر تنقيب أثري. ولقد عثر على عدد من البسط في مقابر الأمراء. إذ جرت العادة أن يدفن الميت محفوفا ببساط. وطريقة حياكة هذا البساط هي أن تنتقل الطعنة من اليسار إلى اليمين أو بالعكس عبر سداة من الصوف. وكثيرا ما يحفل هذا النوع من البسط بإطار مزين بحروف وإشارات تحيط شريطا طويلا فيه صور لكائنات حية[15].

وتشير بعض المصادر إلى أن (الصينيين) هم أول شعب صنع السجاد وأخذ عنهم (البابليون) ثم الفرس وقد كانت الصين هي المركز الرئيسي لهذه الصناعة، ولهذا أصبح الشرق قبلة الوافدين والباحثين عن السجاد، كذلك كان الساسانيون ومعاصروهم من مسيحي سوريا وأقباط مصر ينتجون الكثير من السجاد.

وتقول المصادر التاريخية أن الصليبين الذين جاؤوا من أوروبا إلى بلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، قد حملوا السجاد عند عودتهم إلى بلادهم بعد انتهاء الحروب الصليبية وقد كانت (اسبانيا) أول دولة تنتج السجاد في أوروبا، ثم بدأت انجلترا صناعة السجاد الوبري في القرن السادس عشر الميلادي.

أما فرنسا فقد بدأت في القرن السابع عشر الميلادي صناعة نوع من السجاد يسمى (سافونير) يحتوي على وبر عميق وقد طور مخترع انجليزي يدعى (ادموند كارترايت) النول الآلي خلال نهاية القرن الثامن عشر للميلاد.

وقد أقيما أول مصنع للسجاد في الولايات المتحدة الأمريكية عام (1791) في مدينة فيلادلفيا كما توصل مخترع أمريكي (بيجلو) عام (1841) إلى نوال إلي لصناعة السجاد. كما اخترعت آلة الجاكار في القرن التاسع عشر على يد النساج الفرنسي (جوزيف جاكار) أما آلة الحياكة للسجاد، فقد استخدمت في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين[16].

2.4 تعريف السجاد

السجاد: عبارة عن نسيج يستخدم غالبا أغطية لأرضية الحجرات ليضيف وجوده جمالا وراحة ودفئا للبيوت، ويساعد السجاد وكذلك على امتصاص الضجيج والأصوات العالية، كما يحمي السجاد أرضية الغرف، ويوفر الحماية للإنسان وخاصة الأطفال عند السقوط على أرض الغرفة وهناك أنوال من السجاد تعلق على الجدران كلوحات فنية[17].

وتقوم صناعة السجاد على عقد الخيوط الملونة على أحد خيوط السدي وتقوم طريقة العقد هذه بأساليب مختلفة يمكن شرحها عن طريق الرسم، وهذه الأساليب في الواقع تنبع أنواع السجاد بحسب منشئه وتقوم البنات الصبيات أو الصغيرات بعقد الخيوط وقصها بسرعة مذهلة، وذلك بتوجيه من

[14] عفيف بهنسي: مرجع سبق ذكره، ص 166.

[15] المرجع السابق، 166.

[16] راتب مزيد الغوثاني: مرجع سبق ذكره، ص ص36-40.

[17] المرجع السابق، ص ص 36-40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعلم رئيس الورشة الذي يحدد الألوان بصورة ملحنة وكأنها أغنية يملكها مباشرة من خياله، وعلى البنات إتباعه بسرعة وترديد أغنيته التي تساعدهن على متابعة العمل برتابة ودون توقف وبقليل من الخطأ. وكان ذلك قبل استعمال المخططات الكرتونية المربعة التي أصبحت منتشرة اليوم، ويقوم المعلم بحياكة القسم الذي يتضمن ما يسمى "الوسم" أي علامة المنتج ولقد انتقلت هذه الكلمة العربية إلى الفارسية وأصبح اسمها تمغة عند الأتراك[18].

وينتج السجاد حاليا على نطاق واسع في العالم، وبأنواع مختلفة، وفي عدد غير محدد من الألوان والرسومات والنماذج ويصنع بعض السجاد بمقاسات قياسية، بحيث ينتج معظم السجاد بعرض 7.3م وبعضه الأخر بعرض 5 م، وتقطع أجزاء من السجاد بمقاسات مختلفة ويمكن أن يصنع السجاد على نوال أو آلة ويمكن أن يصنع باليد فالسجاد الشرقي المصنوع باليد موضع تقدير كبير لندرته وجماله.

3.4 أنواع السجاد الشرقي

1. **السجاد الصيني**: ويشتمل هذا السجاد على تصميمات تظهر الرموز الصينية الدينية والفلسفية، وتنسج التصميمات في خلفية من الأزرق والأحمر والأصفر.
2. **السجاد الفارسي**: ويصنع هذا السجاد في ايران (بلاد فارس سابقا) ويتميز بالرسومات الجميلة التي تظهر الزهور وأوراق النبات والطيور. ويشتهر السجاد الفارسي بألوانه المريحة للنظر والمتمازجة معا.
3. **السجاد التركي**: يتميز السجاد التركي برسوماته المستطيلة وتصميماته الخاصة بالأزهار والنباتات المرتبة في صفوف ويضم هذا السجاد غالبا مساحات غالبا مساحات واسعة من لون واحد.
4. **السجاد القوقازي**: ويأتي هذا السجاد من جبال القوقاز الواقعة بين أوروبا وأسيا، ويضم تصميمات هندسية واضحة أما ألوانه الرئيسية فهي الأزرق والأحمر.
5. **السجاد الهندي**: ويشبه السجاد الفارسي في اللون والشكل لكن تصميماته في الغالب هندسية[19].
6. **السجاد الإسلامي**: يعد فن صناعة السجاد الإسلامي من أهم أدوات التعبير عن الحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة. وهو نتاج للفنان المسلم، عبر من خلاله عن فكرة وذوق لتلبية حاجات الأمة الإسلامية المادية والروحية ولهذا جاءت صناعة السجاد الإسلامي تعبيرا عن خلفية جمالية وفلسفية واضحة جعلت للسجاد الإسلامي شخصيته المتميزة حيث قدم مجموعة من الأشكال والتصاميم الفنية ذات الرسوم النباتية والإنسانية والحيوانية والكتابية والزخرفية، مما استحوذ على إعجاب الناس وجعلهم يتباهون بحيازته في الشرق والغرب. وقد ازدهرت صناعة السجاد الإسلامي منذ القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) وخاصة في الشام ومصر وتركيا وإيران والهند والقوقاز والأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية. كما اهتم الخلفاء المسلمون اهتماما عظيما بصناعة السجاد ووفروا له كل الدعم والتشجيع[20].

---

[18] عفيف بهنسي: مرجع سبق ذكره، ص 167.

[19] ربحي مصطفى عليان: **السجاد... فن وصناعة**، مجلة الخفجي، العدد السادس، تصدرها عمليات الخفجي المشتركة، السعودية،2002، ص ص26-31.

[20] **السجاد الإسلامي**: مجلة أفكار، العدد 145، أغسطس، 2000،ص ص 173-184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4.4 قراءة في السجاد الإسلامي

إن فن السجاد يقوم على عاملين. العامل الأول يقوم على العناصر الزخرفية والثاني يقوم على لون السجاد وما يرمز إليه من معان كانت مألوفة وما زالت في تحديد مفهوم الألوان ودلالتها عند العرب.

هناك سمات عامة للزخرفة الإسلامية تشترك فيها كل المدارس الفنية العربية ولعل ذلك راجع إلى الدين الواحد الذي دانت به هذه البلاد العربية، لذلك كانت هناك سمات عامة لها وقد قسمها الألفي كما يلي[21]:

1. البعد عن الفراغ

كان الفنان المسلم ذو ميل واضح نحو تغطية المساحات ولا يتركها بدون زخرفة أو زينة، وهذا ما يلفت النظر في التحف الفنية والعمائر الإسلامية، حيث يجدها مزدحمة بالزخرفة المتصلة ببعضها البعض حتى تغطي المساحة بدون ملل. فقد اتجه الفنان المسلم في منهجه الزخرفي إلى تغطية جميع السطوح التي تقع تحت يديه حتى أنه كاد أن يقضي على جميع الفراغات قضاء تاما.

ومن جراء ذلك كان الفنان المسلم كثيرا ما يغطي أجسام الحيوانات والطيور التي يرسمها بشتى الزخارف النباتية والهندسية والتي تقوم بدورها في امتصاص مادة الجسم وجذب الانتباه إلى تلك الزخارف التي تلغي صلة ذلك الجسم بالطبيعة فهو لا يمكن أن يكون على هذه الحال في الطبيعة.

كما أن الفنان المسلم قد سلك أكثر من مسلك في ملء الفراغ فهو يستمر تارة في ملء الفراغ بزخرفته على السطح متنقلا من الصغير إلى الأصغر، وتارة يعمد إلى الخلفية فيملؤها بخطوطهن فينتج عن ذلك تباين في مستوى السطح أو تباين بين الضوء والظل فيكون بذلك التأثير الجمالي الرائع. وهو ما نجده في صورة السجاد التالي.

---

[21] رحاب بنت عبد الله أبوراس: **الزخارف الإسلامية كمصدر لتصميم وحدات أثاث معاصرة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب، قسم التربية الفنية، كلية التربية بجامعة الملك سعود، 2008، ص ص8-11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2.سطحية الزخارف

كره الفنان المسلم تجسيم زخارفه بحيث تكون مشابهة للطبيعة كما نشاهده مثلا في الزخارف والنقوش الإغريقية والرومانية، واستبدل بذلك زخارف تعتمد على وضوح الخط وتحويره الزخرفي، وألوانه الصريحة الواضحة والمحدودة بخطوط زخرفية، وعندما جسم زخارفه كان ذلك التجسيم ذو مسحه زخرفية واضحة لذلك تعتبر الزخارف الإسلامية من الزخارف الخطية السطحية، فالفنانون الإسلاميون لم يحاولوا تحقيق البعد الثالث بل أخذت تظهر الرسوم الأدمية والحيوانية بصورة بسيطة وغير مجسمة.

3.البعد عن الطبيعة

لم يهتم الفن الإسلامي بصدق تمثيل الطبيعة، وهي ظاهرة سائدة في كل فنون الشرق بصفة عامة، واستلهم الطبيعة في رسم زخارفه وموضوعاته الفنية المتنوعة، وابتكر من الطبيعة أسلوب فني يقوم فيه التحوير (التجريد) ذي الطابع الزخرفي الذي يمارس فيه الترتيب والتنميق والخيال الفني دورا كبيرا. ولعل نفور الفن الإسلامي من صدق تمثيل الطبيعة هو عدم رغبته في مضاهاة الخالق، ونواهي الدين الإسلامي.

لقد عمد الفنان المسلم إلى إيجاد عناصر ذات صلة بالطبيعة مجردة الشكل فعمد إلى عملية تكرارها وهذا ما لا نشاهده في الطبيعة، كما أدخل الفنان المسلم على الأشكال الحية الكثير من التحوير حتى يسلبها طبيعتها الحية، فقد عمد إلى رسم الأشكال الحية من الحيوانات والطيور بطريقة تخالف ما هو مألوف في الواقع حيث تنتهي رسوم تلك الأشكال برسوم أشكال نباتية أو هندسية، وكان يزخرف أجسامها بتلك الزخارف أو قد يكتب عليها فبذلك يكون قد أبعدها عن شكلها الطبيعي، وقد يغلب على الأشكال الحية من الحيوانات والطيور أن تأخذ أشكالا هندسية أو طابعا هندسيا.

فالبعد عن الطبيعة خاصية من خصائص الفن الإسلامي ممثلا في الزخارف الإسلامية، لكنه لم يبتعد عن الطبيعة ابتعادا كاملا بل أخذ مفرداته منها وصاغها بشكل جديد فهو لا يفكر في محاكاة الطبيعة كما هي فذلك ليس هدفه الذي يسعى إليه.

وهذا التحوير والتحريف لم يكن ناجما من عجز الفنان المسلم عن محاكاة الواقع، بل قد يرجع إلى اعتقاد الفنان أن الواقع شيء زائل والمهم هو العالم الخاص به أو ما يتمناه في العالم الأخر في الجنة حسب معتقداته الدينية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4.التكرار

كان التكرار وسيلة للفنان للتغلب على مشكلة "ملء الفراغ" على السطوح المختلفة، وتنوعت أساليب التكرار فعرف التكرار البسيط العادي، والتكرار المتبادل الوحدات، والمتساقط، والمتماثل، سواء في أشرطة، أو حشوات، أو صور زخرفية، أو تكوينات هندسية، ولم يحدث التكرار في الفن الإسلامي أي ملل أو رتابة في نفسية المشاهد، ولعل ذلك يرجع لبراعته في الابتكار الفني في هذا الأسلوب، ورشاقة خطوطه، وتنوع الألوان وجمال علاقاتها.

والتكرار يشع في الزخرفة عناصر الحيوية والحركة بسبب التوزيع المنتظم وثبات الوحدات، ويساعد على الإحساس بالامتداد والانتشار، وهذا يتسبب في إيجاد الإيقاع والتوازن، كما يحدث في ورق الحوائط والسجاد والأرضيات والأسقف، مما يؤدي إلى الراحة النفسية بسبب عذوبة الشكل وتقلبه، وراحة العين لجمال توزيعه ورقته وخاصة إذا دخلت الألوان وتكررت هي الأخرى مع تكرارات الزخرفة.

5.المساحة الهندسية

يقوم التقسيم الهندسي الزخرفي دورا رئيسيا في الفن الإسلامي فقد استخدمت المربعات والمستطيلات والمثلثات في خلق تكوينات هندسية جميلة عبارة عن نجوم وأطباق وصور متوالدة ومتداخلة بشكل جميل أخاذ، وكثيرا ما كان يملأ هذه المساحات الهندسية المتوالدة بتكوينات زخرفية من أفرع نباتية، كما مارست الألوان دورها الهام أيضا في تجميل هذه العلاقات الهندسية، وبذلك أوضح الفنان المسلم تمكنه من تنفيذ رسوماته وزخارفه من خلال وعي بالنظم الهندسية والرياضية وهو ما مكنه من تكسية مساحات شديدة التباين والتعقيد من حيث تركيبها السطحي، كالقباب الدائرية وشبه الدائرية والأشكال الاسطوانية على الأدوات والأثاث وغيرها.

6.رمزية الألوان

تميزت الألوان الإسلامية بحس خاص يجعل أي مشاهد يميزها عن أي أسلوب آخر، وقد استخدمت الألوان الساخنة والباردة بدرجات مختلفة، وكان للون دلالة رمزية عند المسلمين.

أولا: عناصر الزخرفة الإسلامية

1. **العناصر النباتية:**

يعتبر ميدان الزخارف النباتية من الميادين الهامة التي جال فيها الفنان المسلم وابتكر أشكالا نباتية مختلفة خرج بها على الطبيعة، وهناك الأرابيسك المكون من الزخارف النباتية ذات الخطوط المنحنية والمستديرة أو الملتفة باتصالها مع بعضها فتكون أشكالا بحدود منحنية منها أوراق وفروع وزهور وقد شاع استخدام هذا النوع من القرن التاسع عشر ميلادي في العمائر والتحف. وقد وصلت غايتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي وانتشر نوع آخر من الزخارف النباتية تتكون من سيقان وزهور مزخرفة بطرق هندسية منظمة وكانت بلاد فارس أكثر البلاد اهتماما بهذا النوع من الزخرفة التي اتخذت شكلا أقرب إلى تمثيل الطبيعة وذلك بعدا عن المألوف في الفن الإسلامي. وتنوعت أشكال الأوراق وحافاتها ونمنماتها الداخلية. كما تنوعت أشكال الزهور وأنواعها وقد أثر هذا الأسلوب بعد ذلك على المدارس الفنية الأخرى، وخاصة المدرسة التركية، ومدرسة مصر والشام (ولكن بصورة أقل) وظهر هذا التأثير بوضوح في الأبسط والخزف. كما أكثر الفنان المسلم من رسم الفروع النباتية ذات المنحنيات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدائرية والحلزونية وتخرج منها الأوراق والزهور في علاقة فنية هندسية فيها التكرار والتقابل والتناظر والتداخل، تمتاز بمسحة من التحوير واستلهام الطبيعة وليس تصويرها وقد مارست الورقة القلبية المحورة دورا رئيسيا في الزخارف النباتية[22].

2. العناصر الحيوانية:

في بداية الإسلام كان نفور الفنان المسلم من رسم صور الحيوان والإنسان يرجع لنواهي الدين عنها لعلاقتها بالوثنية، ثم أخذت رسوم الحيوانات والطيور تظهر شيئا فشيئا من خلال الزخارف النباتية المتداخلة معها أو صور تمثل الحيوانات والطيور وقد تحورت أرجلها أو أجنحتها بتفريعات نباتية، ثم أخذت رسوم الإنسان تظهر أيضا في الزخارف الإسلامية ولكن هذه الرسوم ذات مسحة زخرفية واضحة وبعيدة عن صدق تقليد الطبيعة. وقد كثرت رسوم الإنسان والحيوان والطيور في المدرسة الفارسية وقد أثرت بعد ذلك في المدارس الفنية الإسلامية الأخرى. وقد ازدهرت الرسوم الآدمية وكثرت في تزيين المخطوطات، وأصبحت بعد ذلك من سمات الفن الإسلامي، وخاصة في فارس (إيران)، والهند، وتركيا، ومصر، وقد عرفت بعد ذلك باسم المنمنمات الإسلامية وقد استخدمت هذه المنمنمات بكثرة في مخطوطات السير، ودواوين الشعر، وكتب القصص والملاحم والأمثال وغيرها. كما استبعد الفنان المسلم رسم الإنسان والحيوان عن قصد من على جدران المساجد وأثاثها، ومن على المصاحف، ولم يتعرض للموضوعات الدينية بالرسوم إلا فيما ندر، ورغم ذلك فقد وجدت صور للحوادث الدينية، وكذلك وجد في المخطوطات والكتب التي سميت بالمنمنمات الفارسية، وكانت هذه الرسوم تحكي وتصور لبعض الأحداث الدينية أو تقدم شرح لبعض القصص الدينية، وكانت هذه الصور نادرة ولم تحز رضا رجال الدين. كما يوجد زخارف ورسوم آدمية نفذت على الجدران وصفحات المخطوطات والتحف المصنوعة من الفضة والمعادن الأخرى والنسيج والجلد والخشب والحجر والرخام والفخار وغيرها[23]. فكان رسم الكائنات الحية معروفا لدى الأمويين والعباسيين والأندلسيين والفاطميين والمغول والفرس والعثمانيين، حيث صور الفنانون المسلمون الأشخاص على مختلف المواد. ونتيجة لتحفظ الفنانين المسلمين في تصوير الشخوص تميزت رسومهم بعدة مظاهر أهمها السمة الزخرفية للصورة الفنية حيث كانت مسطحة وغير مجسمة وتبدو هادئة وساكنة، ووجوهها اصطلاحية لا تدل على أصحابها بل تعبر عن الإنسان عامة.

3. العناصر الهندسية:

سبق القول إن المسحة الهندسية الزخرفية كانت من أهم سمات الفن الإسلامي وخاصة في التكرارات والنجوم والتراكيب الهندسية المتعددة الأضلاع والتشكيلات الفنية الأخرى، وقد كانت هذه التشكيلات معروفة في الفنون الفارسية والبيزنطية السابقة، ولكنها تطورت وأخذت أشكالها الجمالية الرائعة في الطراز الإسلامي حتى أثر هذا الأسلوب بعد ذلك على الطرز الأخرى وخاصة الفنون الأوروبية. وقد شاع استخدام الزخارف الهندسية في العمائر والمخطوطات والتحف المختلفة سواء كانت من الجص أو الخشب أو المعادن إلى غير ذلك، وكان الأساس الذي يبني عليه الفنان المسلم زخارفه هي الدوائر المتماسكة والمتقاطعة

[22] المرجع السابق، ص 11.

[23] المرجع السابق، ص 12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والخطوط المتشابكة والأشكال الهندسية المختلفة كالسداسية والثمانية والمربعات والمثلثات والأشكال المتفرعة منها. وتتميز الزخارف الهندسية بأنها تنقل للرائي إحساسا بالكون، كما يبدو فيها ببعض الأحيان إحساس بالحركة نتيجة للتنويع في استعمال الخامات المختلفة الألوان وتبادل الظل والنور على الأجزاء الغائرة والبارزة في الزخارف [24].

أما الأشكال التي كانت موضوع السجاد، فهي إما حيوانية وهي نادرة جدا أو نباتية وبعضها أشكال هندسية محضة لتأطير الموضوعات أو لزخرفة الحواشي والأطراف. ومن المواضيع الحيوانية العقرب والعرتلة وهي أشبه بالعنكبوت الغليظ. وهي من المواضيع التي ترسم للسيطرة عليها نظرا لمضارها، أما الحيوانات الأخرى المكرمة عند العربي كالغزال والجمل والكلب والديك واليمام والطاووس، فإنها تحتل المكان الأرحب في صناعة السجاد العربي ثم الفارسي والتركي. ولقد أخذت هذه الحيوانات أشكالا هندسية محورة لكي تتمشى مع طريقة صناعة السجاد وتسهل مهمة الصائغ.

أما المواضيع النباتية فمن أهمها شجرة الحياة وهي على أشكال منوعة، فإما أن تكون بشكل عنقودي لو بفروع هرمية أو بتفرعات زهرية، وشجرة الحياة هي رمز الأبدية والخلود ورمز الآلهة العليا. كانت معروفة منذ عهد الرافديين وانتشرت مع الأديان السماوية في الإسلام.

ومن النباتات شجرة السرو التي ترمز إلى الكشف عن المجهول، والرمان المزهر والذي يمثل الخصب والثروة، وسعف النخل الذي تطور عند الفرس لكي يأخذ شكل الكشمير والذي يفيد في طرد الحسد، على أن الأشكال الغالبة في السجاد العربي، المصري والسوري والمغربي والأندلسي، هي الأشكال الهندسية وفيها بعض الإشارات والرموز وبعض الصيغ النباتية المحورة جدا. وثمة مواضيع رمزية كالمشط ذي الأسنان الخمسة والذي يطلق عليه اسم يد فاطمة أو مشط حمزة ويفيد في طرد الحسد كما هو معروف.

هذا ولا يتضمن السجاد الأندلسي رسوم وجوه بشرية أو حيوانات وإنما يعتمد على الرسوم النباتية كالزهور والأوراق. كما يتضمن رسوما هندسية كالشكل المصلب ذي الفروع المتساوية. وأبواب المعابد والمساجد مع كتابات كوفية. وكثيرا ما تحتل جامة كبيرة وسط السجادة. وتتكرر هذه الجامة مصغرة في أطراف السجادة الأربعة قبل الحواشي.

على أن متحف المتروبوليتان يحوي سجادة أندلسية تزينها رسوم طيور محورة ورسوم زهور وترجع إلى أواخر القرن الخامس عشر. ومن أمثلة السجاد الأندلسي واحدة ترجع إلى القرن الرابع عشر موجودة في القسم الإسلامي في متاحف الدولة في برلين. وهي ذات أرضية حمراء خمرية وإطارها ابيض فيه زخرفة كوفية وتتألف السجادة من شكل هندسي متكرر وفوقه شكل مقام أو بناء. وبعض السجاد الأندلسي من القرن الخامس عشر يحوي رسوم الأسرات الملكية، مما يساعد في تحديد تارة هذه السجاجيد عدا ما تحويه الكتابات الكوفية من تواريخ. ويمتاز السجاد الأندلسي بطوله، ذلك لأنه كان يستعمل للممرات في المعابد أو لعل الأنوال كانت ضيقة. وتحفل الأديرة الاسبانية والكنائس

[24] المرجع السابق، ص 13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليوم بالعديد من السجاجيد الأندلسية التي ترجع إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر[25].

وفي متحف الفن والصناعة في فيينا مجموعة من السجاجيد الدمشقية تعتبر من أجمل ما بقي من هذا النوع.وسجاد دمشق وسجاد دمشق يمتاز برسومه الهندسية المترابطة كبلاطات منسقة عدا عن العروق والأشجار والعناقيد ذات الألوان الحمراء والزرقاء والخضراء والصفراء والسجاجيد المعروفة حتى الآن ذات أرضية حمراء خمرية وإطارها ذو لون ازرق أو اخضر مصفر. ولكل لون درجات وأطياف مما يجعل الرسوم ذات أبعاد وأعماق[26].

أما السجاد المصري فانه لا يختلف كثيرا عن سجاد دمشق، بل كثيرا ما يقع المختصون والمتحفيون في خطا تحديد هوية السجاد العربي إذ أن أسلوب دمشق والقاهرة والمغرب والأندلس أسلوب مستمد من مفاهيم الفن العربي الذي يجنح نحو الأشكال الهندسية أو الرمزية أو النباتية المحورة أو الكتابات، مبتعدا ما أمكن عن الرموز والأشكال الحيوانية على العكس السجاد الفارسي الذي اهتم بالأشكال البشرية والحيوانية.

والواقع أن السجاد المصري والدمشقي استمد أيضا الزخارف الهندسية من الزخارف المنقوشة على القطع المعدنية والجلدية والزخرفية المملوكية التي تحمل نفس الطابع ولعل السجاد التركي كان وريث التقاليد المملوكية.

4. العناصر الكتابية:

ويعتبر من أجمل العناصر الزخرفية الإسلامية، وقد استخدمت الكتابات في تكوينات زخرفية كالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والمأثورات والأمثال وأبيات الشعر والدعاء..وقد تنوعت أساليب الكتابات فظهر منها أنواعها كثيرة منها ما يتصل بأقلام كتابية مثل: الطوبار، والنصف، والثلثين، والثلث مختصر الطوبار، خفيف الثلث، ثقيل الثلث وغيرها، ومن أبرز أنواع الخط (الخط الكوفي الذي يمتاز بزواياه القائمة وقد كثر استخدامه حتى أواخر القرن 12م).ومازال يستخدم حتى الآن كأسلوب زخرفي جميل، وأبدع الفنان المسلم في استخدامه كعنصر زخرفي فعمل على رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وتزيين سيقانها ورؤسها وأقواسها بالفروع النباتية والأزهار، كما زخرف أرضية الحروف بتكوينات زخرفية متنوعة إضافة إلى إبداع الفنان المسلم في كتاباته المتداخلة حيث ظهرت العبارات على شكل مربع أو مستطيل أو بأشكال زخرفية متنوعة وأحيانا على صور بعض الحيوانات أو الطيور[27].وهذا ما نجده في صورة السجاد التالي:

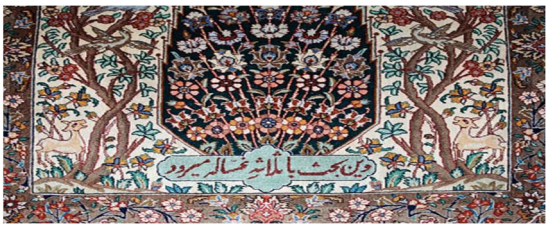

ثانيا: رمزية الألوان في السجاد الإسلامي

إن الكثير من الأسرار التقنية للصناعات الإسلامية خاصة المتعلقة منها بالصباغة، تنقل كحكمة باطنة من جيل إلى جيل، من المعلم إلى ابنه كما تلقاها عن أبيه، وحافظ على كتمان أسررها المهنية، وحتى في حال كشف خباياها تظل ممارستها أقرب إلى الحساسية المبدعة منها إلى الوصفات الكيميائية

[25] عفيف بهنسي: مرجع سبق ذكره، ص ص 168-169.
[26] المرجع السابق، ص 169.
[27] رحاب بنت عبد الله أبوراس: مرجع سبق ذكره، ص 14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجاهزة، تماما كما هي صناعة الموسيقى، فهي لا تنو طلنها تعتمد على التجوال الوجودي والوجداني بين مقاماتها المعروفة، يملك كل محفل إنشادي أو موسيقي شرقي حضرته، وكل سجادة تملك شخصية لونية لا تماثل نظائرها السابقة أو اللاحقة، ينقلب المنتج الصناعي في مثل هذه الحالات إلى كينونة قلبية-حدسية حية.

- **نور على نور**

إذا تجاوزنا سيطرة أشكال المحاريب في التصاميم الكرافيكية للسجاد (الزرابي)، فإن اللون يحتكر البعد الروحي، إن لم يذكرها القرآن الكريم: "وزرابي مبثوثة" في سورة الغاشية، كواحدة من معالم الجنة، ألا تمثل تقاليدها اللونية غالبا نقل أزهار وثمار الفردوس إلى بواطن البيوت والحياة اليومية؟.

يحضرنا ما كانت تتميز به هذه الألوان من حساسية التجربة الباطنة، وذلك خلال غدارة النقابات الطائفية لصناعات عامة، ومراقبة تجويدها ، هي النقابات التي كانت تنبثق عن الرفق الصوفية. يلتقي في بوتقتها البرزخية مفهوم "الذوق" "بالعرفان" و"الذوق" بالإحسان" (المشتق من الحسن"، كانت تدعي جماعة الذوق أي جماعة الفنون والصناعات. ويكاد يكون اللون من أرهف الإشارات العرفانية في التعبير البصري. بعضها صامت وبعضها صائت، وتكشف بعض رهافات توزيعها نظاما من التزامن الموسيقي المدهش.

هو البعد نفسه الذي وسمه هنري ماتيس بـ"الروحي" حين قال: "**إن الحضارة الإسلامية الوحيدة التي اقتصرت في التعبير على اللون**".

واللون هو الجانب النوراني من الصناعات الروحية، ينطبق هذا على صباغات الحياكة وعلى الزجاج المعشق والسيراميك والأبلق والفوانيس والثريات، حتى لتكاد ذخائرها تبدو لصيقة بصورة "النور على نور" في آية سورة النور.

سنورد لكم مثالا عن البعد الرمزي والروحي من خلال ما نقلته الباحثة المتصوفة ايفا فيترى ميروفيتش في مؤلفها عن جلال الدين الرومي، تنقل مدارج التجربة الذوقية وفق سلمها المعروف الموسيقي السباعي كما يلي بحيث تتغير الألوان بتغير أدوات أحرف الجر[28].

- ✓ السفر إلى الحق : نور ازرق.
- ✓ السفر من الحق: نور اصفر.
- ✓ السفر على الحق: نور احمر.
- ✓ السفر مع الحق: نور أبيض.
- ✓ السفر في الحق: نور أخضر.
- ✓ السفر عن الحق: نور أسود.
- ✓ السفر بالحق: نور بلا لون.

لا تدخل هذه الدائرة اللونية الصوفية في صباغات السجاجيد مباشرة، بقدر ما تكشف رهافة حساسية الملونين قبل القرن التاسع عشر، كذلك بعض تصاميم السجاجيد، كاشفة تواصلها الغامض مع الكون والطبيعة والفلك، تماما كما يشرحها جوتيه في مبحثه الشهير عن اللون، انه نوع من **وهم الاستماع إلى أجراس الجنة** عند تأليف الموسيقى. من هنا تبدو أولى إشارات البعد الروحي في الصباغة،

[28] اسعد عرابي: **امتلاك البعد الروحي في العودة إلى الصباغة الطبيعية**، مجلة العربي، الكويت، العدد 526، سبتمبر 2002، ص ص 108-113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي تواصل نواظمها التناغمية مع الموسيقى العرفانية (الإنشاد ، الذكر، التهليل الخ)[29].

ولقد عرفت عند العرب والمسلمين معان خاصة للألوان نأتي هنا على ذكر أهمها: فاللون الأبيض دليل النقاوة والنور والسلام، وهو لون الملابس الدينية ولون راية العرب الأولى حتى نهاية عهد الأمويين. وكذلك الأمر في الأندلس.

واللون الأصفر الذهبي هو لون الإرادة والمجد والثروة. أما اللون الأحمر فهو لون السعادة والفرح، وكان لون علم السلاجقة والأتراك.

واللون الأسود لون الهدم والمقاومة والعنف وكان لون راية جنكيزخان كما كان لون العباسيين الذين ناهضوا الأمويين. والأخضر لون البعث والنهضة والتجديد. وهو لون سكان الفردوس ولون أهل البيت وشيعة على بن أبي طالب[30].

ولقد انتقل مفهوم هذه الألوان ومعانيها من العرب إلى غيرهم من المسلمين. وصناعة الألوان بقيت سرا تمارسه في القرى العجائز من الحائكات، وتستخرج من النباتات وتجفف ليلا في غير الليالي المقمرة.

أما ألوان السجاد العربي الغالبة فهي الأحمر الخمري والأخضر المصفر والأصفر والذهبي المعتق والأزرق البحري.

الخاتمة

وعلى ضوء ما تقدم نستخلص، بأن صناعة السجاد الإسلامي، الذي يحكي عظمة هذا الفن وروعته، من أهم مميزات الفنون الجميلة الإسلامية، حيث عبرت صناعته عن خلفية فلسفية وجمالية واضحة، جعلت للسجاد، في كل أقطار العالم الإسلامي، شخصية ذات حضارة جديدة، هي الحضارة الإسلامية، كما جعلت له خصائص يتصف بها، هذا الفن الذي قدّم مجموعة متنوعة من الأشكال والتصاميم الفنية المرتكزة على عناصر الزخرفة الإسلامية من نباتية وحيوانية وهندسية وكتابية، بالإضافة إلى الآدمية في بعض الأحيان، ما جعل له فعل السحر في الاستحواذ على إعجاب الناس والحكام بالسجاد، وجعلهم يتباهون في صناعتهم له أمام الأمم الأخرى وفي حيازتهم له.. حتى إنه اعتبر من أدوات الترف النفيسة التي لا يحلم في امتلاكها إلا الأغنياء.

[29] المرجع السابق، ص ص 108-113.

[30] عفيف بهنسي: مرجع سبق ذكره، ص 167.

قائمة المراجع

أولا: الكتب

(1) إبراهيم الحيدري: **اثنولوجية الفنون التقليدية**، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1984.

(2) إسماعيل سامعي: **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، مدخل، نظم، علم، زراعة، صناعة اجتماعيات، عمارة، فنون، تأثيرات، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،2007.

(3) **برنار توسان: ما هي السيميولوجيا**، ترجمة محمد نظيف، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، إفريقيا الشرق، 2000.

(4) حمزة إسماعيل الحداد: **المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية**، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2006.

(5) الرويلي وسعد البازعي: **دليل الناقد الأدبي**، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي، دون سنة.

(6) **سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، المغرب، الدار البيضاء، 2003.

(7) عفيف بهنسي: **جمالية الفن العربي**، عالم المعرفة، الكويت، العدد 14، 1979.

(8) كامل محمد عويضة: **مقدمة في علم الفن والجمال**، لبنان، دار الكتب العلمية، 1990.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(9) محمد حسن عطية: **الفن والحياة الاجتماعية**، ط2. مصر، دار المعارف.1997.

ثانيا: المجلات

(1) اسعد عرابي: **امتلاك البعد الروحي في العودة إلى الصباغة الطبيعية**، مجلة العربي، الكويت، العدد 526. سبتمبر 2002.

(2) راتب مزيد الغوثاني: **رؤية جديدة للفن العربي الإسلامي**، سورية مجلة القافلة، شركة أرامكو، السعودية، العدد الثالث،1993، المجلد الثاني والأربعون.

(3) ربحي مصطفى عليان: **السجاد... فن وصناعة**، مجلة الخفجي، العدد السادس، تصدرها عمليات الخفجي المشتركة، السعودية،2002.

(4) **السجاد الإسلامي**: مجلة أفكار، العدد 145، أغسطس، 2000.

ثالثا: الرسائل العلمية

رحاب بنت عبد الله أبوراس: **الزخارف الإسلامية كمصدر لتصميم وحدات أثاث معاصرة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب، قسم التربية الفنية، كلية التربية بجامعة الملك سعود، 2008.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com